الشهد

العدد 343 السنة الرابعة عشرة- الأحد 28 ديسمبر 2025م - 8 رجب 1447

قالت العرب

"هذا البحر لي / هذا الهواء الرطب لي
واسمي وان أخطأت لفظ اسمي على التابوت - لي ..
أما أنا - وقد امتلات بكل أسباب الرحيل / فلست لي .
أنا لست لي"

الأبنودى فى حواره الأخير يروى أسرارا تنشر لأول مرة:

كتبت "شيء من الخوف" و "الطوق والأسورة" فى 3 ليالى

شهد العام المنقضى ذكرى الخال عبد الرحمن الأبنودى العاشرة، وهى رقم دائرى كان ينبغى الإحتفاء به، والبحث عن الجانب الإنسانى فى شخصيته الفريدة، وهو ما نقدمه على هذه المساحة بالإفراج عن الحوار الأخير الذى رحل الخال قبل أن يراجع عناوينه..

المرأة التى صنعت منى شاعرا .. أمى فاطمة قنديل و"ست ابوها" كان لها أثر بالغ

عبد الرحمن المريض غير عبدالرحمن الشاعر.. ونجيب محفوظ مات يوم عجز عن لقائنا

لعل

هذا الحوار مع شاعر السيرة الهلالية ومئات الأغنيات التى تتردد على ألسنة محبيه وتسكن القلوب، كان هو الحوار الأخير فعلى مدى ثلاثة أيام كنا نتحدث فى موعد نهارى ثابت . الحادية عشرة صباحا . ووعدنى بأن يمدنى بصور نادرة لطفولته وشبابه، كان من المفترض أن تصلنى من الاسماعيلية . حيث اختار أن يعيش على ضفاف شاطئ قناة السويس، صباح يوم الأحد، وفى الموعد تماما أبلغتنى السيدة زوجته الاعلامية الكبيرة نهال كمال باعتذار عبد الرحمن الذى دخل المستشفى للتو، وبعد ٤٨ ساعة توقف هاتفه عن الرنين.. فقد مات عبد الرحمن..

ومع (الخال) . كما كان يحب من أصدقاءه أن ينادوه . كان الحوار متعة ما بعدها متعة؛ فهو يتكلم شعرا، ويهمس غناء، إضافة إلى لهجة رجال (أبنود) فى صعيد مصر، التى تجعل من الحكى "قعدة سمر" على أضواء النار الكاشفة.. وأنا لم أكن أنادى أستاذى وصديقى وأخى الكبير باللقب الذى يحبه "الخال" بل أناديه بـ "عبد الرحمن".. معه كنت أشعر بأننى مقرب، أتأمله حين تلمع إبتسامته صانعة "نغزتين" مع نهرين صغيرين على وجنتيه السمراوتين، كاشفة عن أسنان مضيئة بعد أن تخلى غن عادة التدخين الكريهة، وأوصانى فى حوارنا الأخير بالإقلاع عنها، وعينين ثاقبتين كعيون صقر مدرب على إكتشاف الرياء.. ينغم الخال أثناء حديثه بقصيدته المهداة إلى عمته "يامنة"، فيعلو صوته وينخفض كخبير فى الإلقاء.. يبهرك بحكاويه الريفية.. ويأسرك بنوادر الذكريات مع أصحاب الأسماء الرنانة.. تحت تأثير كل هذا السحر، تجرأت فتكلمت فى حضرته كثيرا رغم حاجز الخجل ، كان ينصت إلى جيدا، تتسع إبتسامته كأب فرح بالتحاور مع إبنه..

● **قلت له وكنا نظن أن المرض قد رحل: مالك يا خال..الف سلام..طمنا على صحتك؟**

– قال بطمأنينة واضحة: الحمد لله..أنا بخير، وان كنت لازلت أتردد على المركز الطبى العالمى لعمل كشف دوري.. "بيبصوا وأزوّح" جالولى إنى بتحسن. وأن كله تمام والحمد لله..

● **قلت له" هل أخذ المرض شيئا منك؟**

– قال: طبعا أخذ منى المرض أشياء، ولكن كن على ثقة اننى رافض لهذا المرض الذى زارنى منذ سنوات ولا يريد أن يغادرنى بسبب التدخين الشره الذى كنت عليه، لعنة الله على الدخان، ولكن عبد الرحمن "خالك" ليس هو عبد الرحمن المريض الذى كنت تطمئن عليه من وقت لآخر فى فترة وجودى بالمستشفى، أنا لست هو ذلك المريض، هو فى حاله وأنا فى حالي، وليس لى أية صلة به إلا الحقنة وكبسولة الدواء، ولهذا أنا أفصل تماما بين الحين والحين وأنفى بصوت عال اية صلة لى بهذا المرض، وفى الوقت نفسه أؤكد لنفسى بأن عبدالرحمن الابنودى المريض هو شخص آخرغير عبد الرحمن الشاعر ذو المهام الذى أخذ على عاتقه مهمة توصيل الكلمة إلى أهله وناسه فى القرى والنجوع فى الصعيد وفى الحضر، بمعنى اننى احاول وقد نجحت فى ألا يؤثر المرض على انتاجى ومسيرتى فى "جول" الشعر والجصايد (القصائد).

إستراحة

عدى النهار والمغربية جاية
تتخفى ورا ضهر الشجر
وعشان نتوه فى السكة
شالت من ليالينا القمر

لكنى لا أزال أراك حزينا يا خال؟

. أبدا..لكن تستطيع أن تقول "متأملا" بعد تجربة كادت تدفع بى إلى النهاية ولكنها لم تغير رؤيتى للحياة، ومازلت أجد الضحكة حين أطلبها، يعنى مثلا ترانى قد ابتسمت حين قلت لي: مالك؛ فقد تذكرت هذا الموقف الذى أحكيه لك فى "نكتة":

واحد "جابل". قابل . صاحبه منزعجا من ملامح التعب على وجهه.. جال له "مالك"، جال له ماليش، جال له "لما مالكش مالك؟" هههههه (أخيرا الأبنودى يبتسم)

.. وعودة الى سؤالك عن الحالة الصحية، أقول لك أننى بخير ولا يوجد ما يزعج أحبائى الذين انهالت مكالماتهم على المستشفى الذى أعالج فيه، فقط ما كان يزعجنى أنى بأخذ أدوية قوية .. تسبب لى رعشة فى اليدين، ولذلك بطلتها..

هذه الرعشة سببت لى إزعاجا كبيرا، مثلا كتبت حاجة وكنت فاكر إنها أجمل خط فى الدنيا، لما شفتها دلوقتى لقيتها نكش فراخ، أنا معرفتش "أقرأ" شعري.. وأنا المعروف عنى حسن الخط، لأنى تربية "فقهاء" أنا وأمل دنقل ورجاء النقاش، أباءنا كانوا مدرسين لغة عربية، الخط اللى نزل به القرآن الكريم، أين حصة الخط.. إسأل ورد عليه!

فاطنة جنديل

. نشأت فى أحضان والدتى "فاطنة جنديل" – فاطمة قنديل – تلك الفلاحة البسيطة، التى تحمل تاريخ مصر القديم على كتفيها، وحضارة وادى النيل داخلها، ورغم أنها كانت «أمية» لا تعرف القراءة والكتابة، فإنها علمتنى معنى الحياة، وقد تعلمت منها ووالدتها «ست أبوها» الكثير.. أمى كانت الملهم والمعلم الأول فى حياتي، علمتنى كل شيء شفاهة، حتى عشقت عالمها النابع من حضارة مصر العظيمة.

فاطنة جنديل " قنديل" "ضمنا الوالد إليه فى المدينة مرة أخرى، ولكنى لم أغادر منزل "فاطنة جنديل" ومحبتى لها، كل ذكريات أمى كانت فى القرية تضاف إلى تجربتى مع ست أبوها، وكان لها أسلوب ساخر فى القص للحكايات، وكثير من الأغنيات لى مستوحاة من حكايات فاطنة جنديل فى فيلم "عرق البلح" نقلتها كما هي، وكانت تقيم ليالى للإنشاد الصوفي، وهكذا.. وسعت من خيالى ومداركي، أيضا أنا مدين لها بفكرة الخيال والتى مهما حاولت التسابق معها فى الخيال لا أستطيع، الخيال عندها يتجاوزنى بمرحل كثيرة.

فاطمة قنديل كانت سجلا لكل أشعار القرية وطقوسها.

إستراحة

أحلف بسماها وبترابها
أحلف بدروبها وأبوابها
أحلف بالقمح وبالمصنع
أحلف بالمدنة وبالمدفع
باولادى بأيامى الجاية
ما تغيب الشمس العربية
طول ما انا عايش فوق الدنيا

الأب الشاعر

وما دمت ذكرت فاطنة فلابد أنك مدين لوالدك أيضا؟

– طبعا.. والدى الشيخ محمود الأبنودي، رجل ذو خلفية بدوية، كان يعمل وأعمامى فى طاحونة يملكها رجل قبطي، وكان فقيرا، إلا أن شغفه بالعلم جعله يتهرب من العمل، ليذهب إلى كتاب الشيخ على الكريتي، الذى استقى منه العديد من فروع العلم حتى من هذا آلاف التفاصيل التى حاصرتنى من كل جانب، كما شجعتنى على رعى الغنم، كنت أخرج فى الصباح، معظمهم كان راعى غنم، كما أن الوقت والطبيعة، وتغير الفصول والألوان وأنواع المحاصيل، كل ذلك فى تغيير يومى يجعلك تفكر فى الكون.

نحن كأطفال كلنا نلعب، فى وقت كانوا يحاصروننا بالغناء، أن لكل عمل هناك غناؤه، النورج له غناء، الساقية لها غناء، الشادوف له غناء، نقل المحاصيل له غناء.. وكانت جدتى موسوعة مسموعة وملحنة لكل أغانى "أبنود" المتوارثة، فأفادتني"ست أبوها" كما لم تفدنى امرأة أخرى.

علمتنى الطبيعة وعلمتنى أن أختلط بالأطفال.. والكثير والكثير من الخبرات كانت هى صاحبة الفضل فيه على تكوينى وصقل خبراتى وتأملاتي.

وبالتالى إكتشفت أننى أحفظ كم من الغناء لم يخطر على بالى أن أحفظه، كل طفل يكبر على الغناء لابد وأن يغنى هذه الأغنيات. لا عمل آخر لها غير ذلك.. هذه هى ست أبوها.

لذلك يندهش البعض حينما أقول أنه ما من أحد تمكن من التأثير فى فنيا وأدبيا سوى أبى وأمى وجدتى والمعلم الفاضل؛ هذا لأنى تربية مدرسة الفلاح المصرى الصعيدي،.. انهم محبرتى التى لا ينفد مدادها ولا ينتهى أبدا، إذ حينما احتاج لأن اكون عبد الرحمن أغمس قلمى فى هذه المحبرة..

إستراحة

ولفلفينى السنين.. خديني..
والله صورتك بتنفح تزين الجرانين..
فى ايديا المزامير.. وف قلبى المسامير..
الدنيا غربتني.. وانا الشاب الأمير..
رمشك خطفنى من أصحابي.. وأنا واد صياد..
لفيت بلاد وبلاد.. وبلاد اتاريكى ساكنه الناحية دي.. يا سلام يا ولاد..

نهال كمال

وتحتل الزوجة نهال كمال مكانة شديدة التميز بين النساء اللائى لهن بصمة واضحة لا تخطئها العين فى حياتي، وهى شديدة الاختلاف عن النساء السابقات، بدأ تعارفى بها عندما كانت تستعين بى فى القراءة، قراءة الأعمال الشعرية، وحضرت لى كثير من الأمسيات، وتعجبت لأن التربية مختلفة والعوالم مختلفة جدا بيننا، حينها كنت انفصلت عن زوجتى السابقة، وظلت علاقتى بهذه المثقفة وكنت قد سافرت إلى أبنود قلت لها أن أمى سوف تحضر إلى القاهرة، وسألتها إن كنت تحب أن تراها، سألت أمى عن أحوالها، وفاجأتنى هى بأن اقترحت على أن أتزوج "نهال" بعد انفصالى عن زوجتى السابقة. وكان حبها لما أقوله من أشعار السبب الرئيسى وراء زواجنا.. بالاضافة طبعا إلى رأى أمي، هى أيضا ابنتي، آه.. صحيح ابنتي.. وكانت عندما قابلتها لأول مرة لحم أخضر، وهى أم رائعة لآية ونور.. يعشقونها عشقا.. وهى أول قارئ وأول ناقد لي.. وتراها أحيانا تعارضنى فى بعض المواقف.. منحتنى الهدوء والسكينة، وساعدتنى على إنجاز مشروعات إبداعية ضخمة، فأنجزت دواوينى الكبيرة "الموت على الأسفلت" و"الاستعمار العربي"، كما اكتشفت فى الفترة ذاتها عالم النثر، فأصدرت ٣ كتب من "أيامنا الحلوة" اضافة إلى "آخر الليل"، إضافة إلى ٣ مجلدات ضخمة من السيرة الهلالية..ويحسب لها أنها تدير أسرتها بكفاءة واقتدار.

إستراحة

ابنك يقولك يا بطل هاتلى نهار
ابنك يقولك يا بطل هاتلى انتصار
ابنك يقول إنا حواليا ال ١٠٠ مليون العربية

الزواج والإنجاب

والرجل فى الصعيد من الممكن أن يتزوج وينجب وهو كبير، قالت لي.. البنت" جوهر" . أى جوهرة . ثم صمتت للحظة أضافت بعدها: خدها يا حبيبي..

نقلت لنهال رغبة أمى التى تلتقى مع اعجابى الشديد وانبهارى بها، غابت نهال أسبوع ثم حدثتني، لم أكن أستطيع الاتصال بها (عندها آخ عضلات)، بعد أسبوع اتكلمت ولفينا ودورنا حول أمى فقلت لها هى عايزانى أتجوزك..

جالتلي: ليه لأ.. الحب يغفر ويغنى عن كل شىء .. لم ننظر إلى فارق السن. وقد كان..وأصريت أن أرى العائلة فردا فردا، الأخوال والأعمام واستأذنتهم جميعاً، وحماتى رحمها الله وقفت معى وقفة لا أنساها، وأنجبت بعد عام واحد "آية" تعمل فى MBC ، و"نور" فى العام الأخير، فى الجامعة الأمريكية تدرس الاقتصاد والعلوم السياسية..

الشاعرة الصغيرة

"آية تحفظ أشعاري.. وتلقيها بشكل يدعو إلى الفخر بها والاعجاب بإحساسها العالي.

المرأة المصرية لا يغلبها غلاب، ليس فقط الأم ولكنها صانعة الأجيال، وحين ننظر إلى العلاقة بينها وبين الوالد فاطمة جنديل، فاطمة تكسب لأنها هى التى ربت، ويعتقدون فى الصعيد أننا أبناء أباءنا وأننا اكتسبنا الخشونة منهم، والحقيقة أننا لانرى آباءنا إلا نادرا ولا نأكل معهم إلا نادراً، هم يحتفظون بمسافة بينهم وبين أبناءهم.

فيما الأم الإفراط فى المحبة، وتعطيك اللقمة من فهما وقلبها «تحت جلودهن بحر من الرقة والحنان».

رحيل الأشقاء:

إخوتى كلهم تعلموا، ورحلوا جميعاً، آخرهم كانت "فاطنة" التى رحلت هذا العام، وعبدالفتاح "مدير تعليم جنوب القاهرة" "جلال" كان مفتش فى تعليم الغردقة والبحر الأحمر، كمال كان يعمل فى جامعة الرياض.

ظللت مخلصا فى صداقتك لأستاذنا نجيب محفوظ..فمتى بدأت الصداقة بينكما.. وهل تأثرت به؟

– الأستاذ نجيب له تأثير كبيرعلى جيلنا كله، وأعجبنا بجديته والتزامه وصدقه وتواضعه الذى ليس له مثيل، وسط "الطواويس" التى كنا نراها، وحينما جئت الى القاهرة فى أوائل الستينيات.. كان عمنا الكبير يعقد ندواته فى مقهى أوبرا.. ومكانه كان أمام دار الأوبرا القديمة، كنا نذهب إليه منبهرين بقامته العالية، كان ذلك ايام كتابته "اللص والكلاب" و"الطريق" و"السراب"، وجدته إنسانا مهذبا جدا، على الرغم من وجود بعض الحاضرين الذين كانوا يناقشونه فى خفة، وكنت كثيرا ما ألتزم الصمت، ثم انتقل الأستاذ بهذه الندوات إلى مقهى ريش، فى حين كنت افضل احد المقاهى الأخرى التى كانت تقدم لنا الفول والطعمية وهى قهوة "إزافتش" فى ميدان التحرير وكان صاحبها مواطن يوغوسلافي، كانت قهوة ريش تمثل رفاهية، وسرعان ما انتقل نجيب محفوظ بندوته إلى مقهى "على بابا" ثم انتقل إلى "كازينو قصر النيل" بجوار مبنى مجلس قيادة الثورة، وسرعان ما بدأت علاقة صداقة حميمية بينى وبينه، وكان يقرأ أشعارى الجديدة وكان يشيد بها ويثنى عليها، إلا أن ذلك لا يمنع من بعض الانتقادات أحيانا، ودائما كان معنا صديقنا الاديب الكبير يوسف القعيد وبقية الحرافيش.

ما هى ملاحظاتك على الأستاذ نجيب محفوظ فى أيامه الأخيرة؟

. أهم ملاحظاتى أنه كان رافضا الاستسلام لوهن الشيخوخة.. ورحل فى نفس الوقت الذى عرف فيه أنه لن يستطيع اللقاء بنا.

أنا والسينما

السينما تعاملت فيها بالصدق..وأخلصت لما قدمته لها، وقد بدأت علاقتى بالسينما من خلال صداقتي، للمخرج حسين كمال، والملحن بليغ حمدي، والفنانة شادية، والفنان صلاح ذو الفقار..

ومما لا يعرفه الكثيرين أن حسين كمال قد استعان بي، لقراءة الخطابات فى فيلم" البوسطجي" وقد ظهرت بصوتى فى البوسطجي،، وعندما جاء فيلم "شىء من الخوف" قاللى أكتب الأغاني ، قريت الورق، قلت له أنه لا يصلح أن يكون فيلماً وكان لهم عام ونصف فى التحضير له، "قفلت عليه باب أوضتي" ودون أن يعلم حسين كمال أعدت كتابة الفيلم بأغانيه فى ٣ ليالى ..

(هل أنت مندهش؟ هكذا سألنى الخال.. وقبل أن أجيبه قال: "الطوق والأسورة" أيضا كتبته فى ٣ ليالي.. "لقمة وأكتب"!).

كتبته بأغانيه، إلا النهاية، صرخ حسين مناديا أبطال الفيلم: ياشادية يا محمود مرسى كل الورق اللى معاكوا فركش، عندى ورق جديد..الأبنودى غير الفيلم..

نسخ عشر نسخ لشادية محمود مرسي، قاللهم احفظوه..عند العرض الأول للفيلم المحيطين بالرئيس عبد الناصر نصحوه بمنعه، جالوله الفيلم ده عنا، فقال لهم الزعيم: لو احنا كدة يبقى نستحق الحرق (وهو مشهد الفينالة).

برضه قدمت "أغنية الموت" للسيدة فاتن حمامة، عن كتاب مسرح المجتمع لتوفيق الحكيم.

– الثالثة: خيرى بشارة كتبت له فيلمه "الطوق والأسورة"، وأن كصعيدى أعرف أن كل قرية لها لهجتها..

– وفى التليفزيون: كانت لى تجربة عندما قدمت مسلسل وادى الملوك.

ورغم أنه الآن هو فاكهة السينما ، إلا أننى قلت لحسين كمال " ما تكتبوش اسمى عليه".

(يامنة) أيضا لها صلة بالطفولة

– عندما ينسحب النيل، إذا بارتفاع نصف متر من الأسماك والقرية كلها تاكل من سمك يامنه.

وكان لها نخلة القرية متروكة للجميع، وعندما كنا نجوع وبلحها لا يزال أخضر، فنطلع النخلة، تنزلنا بالطوب، كنت متعلقا بها، وكل عيد أذهب إليها للزيارة..إلى أن فاجأنى جريب: جاللى : مش عايز أجولك البقية فى حياتك.

رجعت القاهرة وعلى ترابيزة كتبت " يامنه"..

قلت للخال: هيا ابكينى بمقطع من "يامنة"..انت تعلم كم تبكيني؟

إستراحة

شفتك مرة فى التلفزيون
ومرة .. ورونى صورتك فى الجورنان
قلت : كبر عبد الرحمان!!!!
أمال انا على كده مت بقى لى ميت حول
والله خايفة يا وليدى القعدة لتطول
مات الشيخ محمود
وماتت فاطنة ابْ قنديل
واتباع كرم ابْ غبان
وانا لسة حية..

وباين حاحيا كمان وكمان
عشت كتير
عشت لحد ماشفتك عجّزت يا عبد الرحمان
وقالولى قال خَلّفت
وانت عجوز خلّفت يا اخوي؟
وبنات..!؟!
أمال كنت بتعمل إيه
طيلة العمر اللى فات؟
دلوقت مافقتِ؟
وجايبهم دِلُوك تعمل بيهم إيه؟
على كل. أهى ريحة من ريحتك ع الأرض.

هل كتبت الشعر فى ايه ونور؟

– أنا أعجز أنى كتبهم. آية أو نور همه أصبحوا تجربة كبيرة

– وحالة من النضج تدهشني.. البنات نعمة النعمات.. ياخال.

حوار: طاهر البهي